مئوية سيد قطب: عن النقد والشعر والتمرد

بدأ حياته أديبا ومات أديبا رغم «تحولاته» في السجن

ابراهيم درويش

■ في هذا الشهر مرت مئة عام على ولادة الناقد والشاعر والمنظر الاسلامي المعروف سيد قطب، (9 تشرين الاول ـ اكتوبر 1906)، والكتابة عن سيد قطب الاديب والناقد تبدو ضرورية او حتى التذكير بهذا الجانب المهم من حياته. فقطب المنظر والناشط الاسلامي والحامل على كتفه مشروعا اجتماعيا كاملا كما كتب لصديقه وتلميذه الناقد انور المعداوي حظي بدراسات كثيرة، وببيليوغرافيا بالاعمال التي تطرقت لسيد قطب والتي قدمت على شكل رسائل دكتوراه وماجستير في الكثير من اللغات تشي بان سيد قطب المنظر والكاتب «الاسلامي» حظي باهتمام كبير في ضوء الدور الذي لعبه كتابه المؤثر «معالم في الطريق» ووفاته ـ شهادته في آب (اغسطس) 1966، واي دارس للكتابات التي تصدر في الغرب سواء في الاكاديميات وما يكتبه من يسمون انفسهم بخبراء الشرق الاوسط يجد ان سيد قطب بات يعرف بأنه ابو الاصولية الاسلامية والتشدد، وهذا الوصف يبدو متجاوزا احيانا ولا يفهم الظروف والظلال التي حاقت بحياة الكاتب والمفكر الاسلامي، مرضه، سجنه، واعدامه، حيث اعدمته الثورة التي كان من اوائل الكتاب الذين وصفوها بـ «الثورة» (كانت تعرف بحركة الجيش اولا) وايدها باعتبارها ثورة على «الديكتاتور الصغير» الملك فاروق.

وفكر سيد قطب بات ساحة مفتوحة للنقاش والمراجعات خاصة في السبعينات وداخل دوائر الاخوان المسلمين انفسهم الذين انتمى اليهم قطب في الجزء الاخير من حياته، وكان كتاب «معالم في الطريق» محلا للنقاش، حيث رفض كثيرون صلته بفكر «التكفير والهجرة» الذي ولد في السجن، فيما رأى اخرون ان كتابه اسيء فهمه خاصة في حديثه عن العزلة التي قالوا انها لم تكن عزلة حقيقية بل عزلة شعورية ترتبط بفكرة استعلاء الايمان. وآخر المراجعات، والتي بدت حادة، ما يدور في بعض الدوائر السلفية السعودية التي تحارب وتهاجم الفكر الاسلامي وتقوم بدراسات منظمة لنقد افكاره ضمن منظومتها عن الولاء والبراء والكفر. ومن هنا فان الجزء الاخير من حياة وتحولات هذا الناقد الذي كان في قلب الحركة الادبية المصرية في الثلاثينات والاربعينات هو الذي حظي بالاهتمام فيما لم يلق الجزء الاول والمهم اي اهتمام فالجزء التأسيسي اما سحب تحت البساط ، اهمل او صار الحديث عنه من نافل القول.

والحقيقة ان سيد قطب بدأ حياته اديبا ومات اديبا حتى في مرحلته «الاسلامية» وهنا نضع هذا بين فارقتين لان افكارا مثل «الاسلامية» وتقسيم حياته الى «جاهلية» و «اسلامية» تظل نسبية وهو ما جرى لدى الكثير من الكتاب الاسلاميين الذين تحدثوا عن مرحلتين في حياة قطب، ما قبل انتمائه لجماعة الاخوان المسلمين، وهي المرحلة التي اشار اليها البعض بالجاهلية، اما المرحلة الثانية فهي المرحلة الاسلامية اي نشاطه في صفوف الاخوان وصار اهم منظر وكاتب في صفوف الحركة وهو الذي اعطى الحركة بعدها التنظيري، خاصة ان زعيم الحركة حسن البنا لم يكن يجد الوقت الكافي للكتابة وتأصيل فكر الحركة ومشروعها الفكري، وباستثناء رسائله وخطبه ومذكراته لم يكتب البنا اعمالا كثيرة او ذات بعد فكري عميق. تبدو اذن هنا الاشكالية في الطريقة التي تم فيها الفصل بين مرحلتين في حياة الناقد قطب والكاتب الاسلامي، ولا غرو ان هذا الفصل يحمل في طياته الكثير من الاشكاليات والتجاوزات، واحيانا الفهم الخاطئ لمجمل تراث سيد قطب، فهو يتجاوز الابعاد التأسيسية في فكر ونتاج سيد قطب وتشربه القرآن وحسه بالنظم الاجتماعي الذي تعيشه العائلات المصرية وهو الجانب الذي بدا واضحا في مذكراته التي صاغها واهداها الى عميد الادب العربي طه حسين «طفل من القرية»، صحيح ان سيد كتب في اعماله الاولى متحدثا عن دور خاص للدين في النظام الاجتماعي، دور يبعد الدين عن العلاقة بالادب، وصحيح انه بدا في اشعاره باحثا تائها في كون مليء باالالغاز، وصحيح ان بعض رفاقه واصدقائه الادباء اشاروا الى نزعة لادينية او الحادية في حياته، لكن سيد قطب لم يتخل في كتاباته الاولى واللاحقة عن البعد الاخلاقي وهو البعد الذي حكم رؤيته للغرب والتي لم تكن محايدة او موضوعية بل عدائية، وجاء حكمه على الغرب على الرغم من قضائه عامين في امريكا دارسا لانظمتها التربوية ونظامها التعليمي، فهو يصف في امريكا التي رأيت ورسائله الى اصدقائه في مصر امريكا بـ «الورشة الكبيرة» التي تملك القدرة على الانتاج المادي ولكنها فقيرة او عقيمة في جانب المشاعر، وقد يقال ان هذا البعد او الموقف طرأ عليه قبل رحلته لامريكا، خاصة بعد ان اصدر كتابه «العدالة الاجتماعية في الاسلام»، والتصوير الفني في القرآن، ولكن هناك ادلة على ان موقف هذا المثقف من الغرب كان دائما موقفا شاكا واخلاقيا في اساسه، ففي قراءته لاعمال الكاتب والروائي اليمني/ المصري المعروف علي احمد باكثير، خاصة مسرحيته التاريخية «شيلوك»، نلاحظ ان قطب اكد على اهمية الموضوع باعتبار المسرحية من اهم الاعمال التي تعرض وتنتصر للقضية الفلسطينية، وفي قلب نقده او عرضه للعمل هذا نرى الناقد مشككا في فكرة باكثير وتعويله على الضمير البريطاني والانساني لتحقيق العدالة للفلسطينيين. كان للجانب الاخلاقي اثره في خيارات وكتابات سيد قطب، ولم يكن سيد قطب وحده في موقفه من الاخلاقي من الحضارة الغربية، ويبدو ان كتاب ارثر شبلنجر عن انهيار الحضارة الغربية اثر فيه وفي جيل من المثقفين العرب.

ومع ذلك لم يكن الناقد في موقفه من الحضارة الغربية او الغرب بشكل عام، ضد الادب الغربي او تناوله، فقد كتب عن توماس هاردي، وعن هاوسمان وعن اوسكار وايلد واعجب كثيرا بالشاعر الهندي طاغور، وعندما كتب عن قمم الشعر العالمي لم يذكر بينهم اي شاعر عربي، ولم يكن في نقده الاول معجبا بالشعر الجاهلي، ونقده للشعر العربي تأثر في النهاية بموقفه الادبي الذي حكم اعماله وهي علاقته بمدرسة العقاد ـ شكري ـ المازني التي ركزت على الجانب الوجداني وهو ما تبناه سيد قطب في كتاباته النقدية. وهنا لا بد من الاشارة الى جانب مهم في حياة قطب الناقد وهي انه ظل يعيش تحت معطف استاذه العقاد حتى نهاية الاربعينات وصدر في كل ما صدر من كتابات عن موقف المريد المتعلق باستاذه، فقد خاض قطب حروب العقاد ودافع عنه، وكافح من اجل الدفاع عن نفسه، ومعاركه مع الرافعين «اتباع مصطفى صادق الرافعي» ومع محمد مندور ودريني خشبة هي معارك ليست حول «الشعر المهموس» الذي دعا اليه مندور ولكن لان مندور قدح بطرف خفي من مكانة العقاد، فتعلقه بكل ما هو «عقادي» وكل ما ينتجه العقاد جعله في بعض الاحيان يتعسف الاحكام ويغمط الكبار او الشيوخ ولا يتسامح مع المدرسة، بل كان العقاد وشعره يمثله النموذج، فهو اشعر من شوقي والمدرسة الكلاسيكية الاحيائية، واهم من كل الاسماء التي ضاق بها ذرعا واشتكى من طباعة دواوينها، مثل علي الجارم التي اخذ عليها الاهتمام بالصناعة اللفظية والتركيز على شعر المناسبات. انتصر سيد قطب للعقاد في كل ما كتب عنه، وفي كل معاركه، وظل المريد والتلميذ الامين على تراث العقاد اثناء ما كان كاتب الوفد الاكبر وبعد ان تركه. وكان قطب يتوقع من استاذه اعترافا او ردا للجميل، ولكن الاستاذ المعتد بنفسه وثقافته لم يول تلميذه الاهتمام الكافي، خاصة عندما اصدر الاخير ديوانه «الشاطئ المجهول»، وهو الديوان الذي لم يكتب عنه اي ناقد او كاتب من اصحاب الوزن الكبير اي كلمة، ربما لان قطب في شعره لم يبلغ المنزلة التي وصل اليها نقده، وهو ما اورث الناقد المرارة حيث كتب لصديقه انور المعداوي فيما بعد انه حين عودته لمصر لن يواصل الكتابة النقدية. وما يكشف عن حالة قطب النفسية وخيبة امله من استاذه والاخرين من مجايليه تلك المقالة التي كتبها احمد امين في مجلة «الثقافة» عام 1951 واهداها لقطب، وفيها تحدث عن الوضع الثقافي المصري عامة وتفرق الادباء، واستقلالية الكبار عن المريدين او الشباب بشكل سيؤدي الى ضياع الادب، كما اخذ على الجيل الناشئ نفوره من استاذية الكبار بحيث يبدو وكأنه يريد ان «يتزبب قبل ان يتحصرم» او ان «يطلع المئذنة من غير سلم»، وقد وجد قطب في هذه المقالة فرصته لاخراج ما في نفسه من كبت واحباط وغضب على المشهد الادبي في بلاده. وقد اعتبر قطب كلمة الدكتور احمد امين بمثابة هدية ليست له بل لجيله بالكامل. ومع اعتراف قطب بعد هذا الثناء والشكر والتقريظ، بوجود اشكالية لدى جيل الشيوخ والشباب الا انه حمل جيل الشيوخ اكبر التبعة، واتهمهم بالاستقلالية والانانية، واشار صراحة الى تجربته الخاصة التي «تركت في نفسي ذات يوم مرارة ومن اجل هذه المرارة لم اكتب عنها من قبل، حتى صفت روحي منها وذهبت عني مرارتها واصبحت ذكرى قد تنفع وتعظ». ويقول «لقد كنت مريدا بكل معنى كلمة المريد لرجل من جيلكم تعرفونه عن يقين، ولقد كنت صديقا ودودا مع الاخرين من جيلكم، لقد كتبت عنكم جميعا بلا استثناء، شرحت آراءكم وعرضت كتبكم، وحللت اعمالكم بقدر ما كنت استطيع. ثم جاء دوري في ان انشر كتبا بعد أن كنت انشر بحوثا ومقالات وقصائد...»، ويمضي قطب عارضا موقفه المرير، مشيرا الى كتابه «التصوير الفني في القرآن» حيث يقول ان هذا الكتاب كان «موفقا حقا، اقولها الان مطمئنا، بعد ان اصبحت حقيقة ادبية منفصلة عن شخصي»، ويتساءل قائلا «فماذا كان موقف استاذي؟ وماذا كان موقف جيلكم كله، ماذا كان موقف جيل الشيوخ، لا من هذا الكتاب وحده ولكن من الكتب العشرة التي نشرتها حتى الآن؟»، ويشير الى ان ما كتب عن اعماله كان قليلا ولا يتعدى اشارة باعتباره ناقدا او مؤلفا روائيا وشاعرا الا أن تحوله الى الكتابات الاسلامية لا يعني قطيعته عن الموضوعات الادبية، فقد كان يخطط مثلا بعد ان اكتشف طريقه للكتابة عن محمد اقبال، الشاعر الباكستاني المعروف، حيث وجد نوعا من الشبه بين تجربته الخاصة وتجربة اقبال، كما ان جيل الشيوخ الذي لامه قطب تحول للكتابة في الموضوعات الاسلامية، مثل العقاد، ومحمد حسين هيكل، وطه حسين وغيره.

وكتابه «التصوير الفني في القرآن» هو في النهاية عمل ادبي يتعامل مع النص القرآني كنص ادبي مؤثر في حياة المسلمين، بل ان اهم جزء في تأثير سيد قطب ككاتب ومنظر اسلامي، هو قدرته الادبية وسحره في التعبير سواء كان هذا في تفسيره «في ظلال القرآن» او في «معالم في الطريق»، ففي هذه الكتب عبر قطب عن شعريته النثرية الخاصة ووجد الصوت الشعري والدفقة التي كان يبحث عنها عندما كان ناقدا يطبق افكار مدرسة الديوان وانطباعاته عن اعمال الكتاب في ذلك الوقت. ومن هنا لا بد من الاشارة الى ان سيد قطب وان ظل يدور في اطار تنظيرات العقاد الا انه في فترة لاحقة وجد ان العقاد لم يعد او لم يكن يعبر في شعره عن التصور الوجداني، بل ان شعره ذهني، يفتقد الغنائية، وبالنسبة لقطب فالغنائية هي التي تصنع الشعر، ومع انه في شعره كان يقترب من المدرسة المهجرية، الا انه ولتعصبه الشديد للعقاد اهمل تجارب جيله مثل علي حسن اسماعيل وعلي محمود طه، واكتشف متأخرا محمود ابو الوفا، وفي مقالة له، تمنى لو كان عنده الوقت ليجمع ما يمكن تسميته شعرا من دواوين عباس العقاد، وتنبأ ان شعر العقاد لن يصمد امام الزمن. ولهذا كان قطب حتى في خروجه كناقد متحيزا دائما لاعمال الشباب، وفي كتابه/محاضرته «مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر»، اعتمد في استشهاداته على اشعار الشباب وعلى شعره، وكان يؤمن بأهمية تقديم الشبان الشعراء، واعترف ان مدرسة «الديوان» قد استنفدت وجودها ولم يعد لها اي تأثير في الحياة الادبية ولهذا، اعتبر ان التجارب الادبية القادمة من العراق وتونس وفلسطين تحمل مفتاح التغيير في الاداء الشعري ولغته، حيث اهتم باشعار نازك الملائكة، وفدوى طوقان، وابو القاسم الشابي، كما قدم عددا من الاسماء مثل اليمني عبده غانم، وعندما كان الشاعر الاردني يوسف العظم في القاهرة زاره وقرظ مجموعته القصصية الاولى. هذا الاهتمام بالاصوات الجديدة، مفتاح اخر من مفاتيح التحول عند سيد قطب. وعليه فان ماهية التحولات التي قادت الى الاختيار الاخير عند قطب لم تحدث فجأة وبدون مقدمات، فقطب حتى اثناء زمن تلمذته على العقاد، لم ينس انه يبحث عن مهمته الخاصة، وعنوان محاضرته «مهمة الشاعر» وحديثه في «طفل من القرية» عن حس المهمة عندما غادر بلدته في الصعيد «موشا» كان مدفوعا بحس المهمة وانقاذ اطيان عائلته التي باعها والده الذي كان ينفق اكثر مما يحصل عليه، لكرمه. وهي نفس المهمة التي اشار اليها في رسالته لصديقه انور المعداوي. بل ان استشهاد الناقد بشعره وهو بعد لم يؤكد صوته في الحياة الادبية المصرية، يشير لاعتداد سيد قطب بنفسه، وبتفرده وبانه شخص كان يحمل مهمة كبيرة، مشروعا سيترك اثره على الحياة الفكرية والادبية. لكل هذا تبدو العودة وفي ظلال مئوية هذا الاديب الى اعماله واعادة قراءتها، وجمع ما لم يجمع من كتاباته له في الدوريات والمجلات لانها مجموعة ستقدم صورة عن هذا الاديب، المتفرد والمتمرد. ولا بد من الاشارة الى ان هناك عددا من الدراسات الادبية لاعمال قطب ومساهماته النقدية واعتقد ان الدراسة الجامعة المانعة التي قدمها محمد حافظ دياب «سيد قطب الخطاب والايديولوجيا» من احسن الدراسات، اضافة لدراسة علي شلش واخرى لأحمد البدوي التي جاءت ضمن سلسلة نقاد الادب.

سيد قطب مع تربوي امريكي اثناء زيارته لامريكا بين عام 1948 و 1951

«قصص من الضفتين»:

أكثر قربا رغم كل شيء!

عزيز الحاكم *

■ وفاء للذاكرة المشتركة بين المغاربة والاسبان، والتي تمتد لثمانية قرون ما زالت آثارها بادية للعيان في الحياة والإبداع، صدر مؤخرا عن الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي ووزارة الخارجية والتعاون، ضمن «برنامج المعتمد» كتاب أدبي بعنوان (قصص من الضفتين) وبين دفتيه مجموعة من النصوص القصصية والروائية والمسرحية التي ألفها كتاب مغاربة وإسبان. وتأتي هذه البادرة في إطار تفعيل مساعي الكتاب والمثقفين «الذين يجب أن يزودوا ـ انطلاقا من مجال التخيل ـ الخيال الجمعي بمجموعة من العناصر تدحض الرؤية التي تصوغها إيديولوجيات المواجهة» على حد تعبير خوسيه مونليون، مقدم الكتاب. وهي الثانية من نوعها بعد صدور الجزء الأول سنة 2001 متضمنا نصوص المغاربة الميلودي شغموم ورشيد نيني ومصطفى المسناوي ومحمد عز الدين التازي، والاسبان: روسا ريغاس وماغدالينا لاسالا وأنطونيو ألامو ومجموعة إيل أستييرو، وذلك بدعم رسمي من الحكومة الجهوية لأندلوثيا والوكالة الاسبانية للتعاون الدولي ووزارة الشؤون الثقافية المغربية.

ويحفل الجزء الثاني بمساهمة خمسة كتاب من اسبانيا وخمسة من المغرب. وفيما حاول الاسبان اعتماد ضرب من التمثلية في اختيارهم، إذ شارك عن جهة الأندلس أنطونيو غالا وعن الحكومة المحلية لجهة كاستيا لامانشا أنخيلا بالبي وعن جهة إستريمادور خوان كوبيطيه وعن المعهد الدولي لمسرح الأبيض المتوسط بجهة مدريد إتشيار باسكوال وعن جهة بالنسيه يوسيب بييرا، تمت المشاركة المغربية عن طريق اتحاد كتاب المغرب وتمثلت في: عبد الحكيم معيوة، الميلودي شغموم، محمد الدغمومي، عمرو القاضي، ربيعة ريحان.

وفي تقديم عمده خوسيه مونليون بعنوان (أكثر قربا رغم كل شيء) ثمة عرض مدقق لدوافع هذا الإصدار ومحطات التعاون الثقافي بين المغرب واسبانيا، ورصد بانورامي لمجمل الملامح التي تسم العلاقة بين البلدين، ومحاولة استنباط نقاط التشابه والتباين في نصوص الكتاب العشرة، وتأكيد صريح على إيجابية الحوار الثقافي من منظور يضع في الاعتبار المقومات الحضارية المشتركة. ولا يخفي خوسيه مونليون في سياق اغتباطه بهذا التعاون اندهاشه من «أنه لا أحد من بين هؤلاء الكتاب كان له سابق اطلاع على أعمال الآخرين. لكن الأكيد هو أن القصص القصيرة المغربية تعرف نفس التغير مقارنة بالكتاب الأول. فكما هو الحال بالنسبة للقصص الاسبانية نحن أمام انصهار ضمن فضاءات يومية، أندلسية ومغربية، بعيدا عن الظلال القاتمة للهجرة غير القانونية. ولربما يعزى ذلك إلى أنه على الرغم من كون صور (الباتيرات) ويأس العالقين على الحدود ما زالت بمثابة الثقب الأسود في الفضاء الأوروبي إلا أن مسلسل تسوية الوضعية القانونية لآلاف المهاجرين الذين كانوا يعيشون بيننا «دون أوراق» قد ساهم في تدعيم التعايش» (ص 9).

وتبدو عناصر التماثل بين النصوص المغربية والاسبانية في طبيعة الشخصيات وتعايشها في نفس الفضاء وإقامتها الدائمة في الذاكرة من دون أي كره أو رهاب، بل إننا نستشف من بين السطور عبير المحبة والانتشاء بهذا التواصل الحميم بين أفراد لا يكاد يميز بعضهم عن بعض في معظم الأحيان سوى اللغة وبعض العادات الشخصية جدا، وما عدا ذلك فرح متبادل وتعايش سهل.

يكتب عبد الحكيم معيوة (من مواليد الناظور 1959) في قصة بعنوان (بائعة الحظ): «خصر الصبية الفتي يرقص على نغم أطلسي قريب، وأقدام الصبي الفتية تطبع نغما أندلسيا قريبا، والتناغم الذي استتب بين أطلس الفتاة وأندلس الصبي أملى على أكف الحاضرين بأن تعزف تصفيقا متوسطيا بعيدا عن كل نشاز» (ص،19) هكذا إذن ينساب الحنين الروحي المتقاسم في لحظة التلاقي ليصب في نفس النبع/ الجذر راسما لساكني الضفتين قدرا واحدا لا نصيب فيه للتمزق والتصادم.

وهذا ما يتأكد بنبرة مغايرة في نص (فراشة) للميلودي شغموم (ابن احمد 1947) المقتطع من رواية بعنوان (أريانة) الذي يقول فيه: «ولقد بدا لي، وأنا في حافلة العودة، بين النوم واليقظة»، قرب طريفة، أن رامون ليس سوى العربي الشيهب. هدا جدع قلبه وذاك جدع قضيبه، بينما يشبه الناظمي على الأقل في وجهه. ولم تكن أريانة، بالنسبة لرامون، سوى حليمة حين تبكي أو غلوريا حين تبتسم أو تضحك... فشككت أن أكون قد قمت بهذه الرحلة أصلا، قد أكون حلمت فقط! » (ص 31).

كما لا تخلو بعض لحظات اللقاء في هذه النصوص من دهشة الاكتشاف، وهذا ما نلمسه في نص (أمير غرناطة) لمحمد الدغمومي (طنجة 1947) حيث نقرأ : «قهقهت مانويلا ساخرة: «لم أكن أعرف أن المورو يشربون»، ثم صارت ترقص وتصفق بكفيها مرة بعد مرة ولا تبالي. عيون السكارى انغرزت في صدرها وهي تدور حول نفسها وتشابك كفيها فوق رأسها وتحول ساعديها إلى ثعبانين شهيين التفا حول عنقي حتى دار رأسي. مددت يدي إليها فاقتربت مخابثة: «هل سكرت؟ ولم أجب». ص 36. ويرسم عمرو القاضي (الناظور 1976) صورة مركبة للاسبان الذين يعيشون في مدينته، يتأرجح فيها السرد والوصف بين التوتر والاسترخاء، بين الإعجاب والإدانة، كما يتجلى ذلك في نص (إجناثيو): «كل الحانات كانت مخصصة للجالية الاسبانية والجنود، وكنا نراهم يخرجون في نظام من الثكنات، جماعات جماعات. يتكاثرون ويتكاثرون. وكلما مر وقت نعتقد أن السيل قد توقف. لكنه ينهمر من جديد أكثر تدفقا.كأن اسبانيا قد خلت من شبابها. فكل من بلغ سن التجنيد أرسل إلى الناظور!» ص54.

أما الكاتبة ربيعة ريحان فإنها تشمل شخصياتها الاسبانية بوصف حنون في نصها (رحيل) : «تعجبني لكنة السنيورة وتعجبني أكثر أظافرها المدببة المطلية بالأحمر وهي تهيئ الحقنة وتحكي. أمي والناس جميعا يقولون إن يدها (رطبة). خبرتها في التمريض طويلة. تشغل الفونوغراف أولا وتضع عليه أسطوانة ضاجة، تلهينا عن الخوف من الألم بالصخب والضحك والحديث المختلط وهي تسحب بالإبرة الدواء بقليل من الرجفة لينسكب من الزجاجة إلى الحقنة » ص 67.

ومن نفس الأجواء تقريبا يغترف «خوان كوبيطيه» (كلامونطيه 1961) في نص حواري بعنوان (أنا مورة، أنت مورة، هي مورة، نح.....) أحداثه المسرحية ويستقدم شخصياته المغربية والاسبانية كي يجسد تعلقهم بماض منحفر في الذاكرة: «لجعل أبي سعيدا كان يكفي أن يطلب منه أن يحكي عن حبيبته القديمة «طنجة». يمتلئ فمه كما لو كان بلحا متراصا. من شفتيه يخرج سيل من الأسماء وأسهم وقصص وأمكنة: عن حي مرشان العالي، حيث نشأ وحيث ولدنا، عن قصر الملك الشامخ المطل بعظمة على مياه المضيق، عن أضواء طريفة التي تلمع من بعيد في العتمة لتتمنى لنا ليلة سعيدة » ص79-80. ويشكل نص (أربع زيجات) للكاتب أنطونيو غالا (براثاطوس 1930) حالة انزياح استثنائية بالقياس إلى النصوص المختارة، فهو يضع الإنسان جانبا ليعالج موضوع الحب والجنس بين الحيوانات ، وفي مختتم النص يخلص إلى أنه «بعد التأمل والتفكير في تلك الحالات»... أعتقد أن نتيجتين على الأقل أصبحتا واضحتين لدي: الأولى أن الطبيعة أكثر جرأة وأقل حذرا من الإنسان: وخاصة عندما يتعلق الأمر بالإنسان المشرع. والثانية أن أي كائن حي قد يشعر بالوحدة، بعضهم يتقبلها ويستقبلها ويحتضنها. ومنهم من يتعالون عليها، وآخرون يحتاجون إلى أن يدخل حياتهم أي كائن حي آخر ليكملها » ص 97. وبنفس الانتحاء إلى المواضيع «الهامشية» تكتب «إنتيار باسكوال » في نصها (جنات) عن مدريد / مدينة الاختناقات العظمى بأسلوب كافكائي قاتم» صوت الموسيقى وورشات البناء والسيارات وصفارات الإنذار البعيدة والقريبة وأجهزة الهاتف المحمول ومحطات البث الإذاعية حولوا الناس الذين كانوا في الانتظار إلى مجرد هامسين. لا تبدو فكرة الهمس جذابة في مدريد، ولكن هناك قليل من الذين ما زالوا يتكلمون بصوت منخفض، والذين ينتظرون أن يتفاهموا بكلمات قليلة أو إشارات أو نظرات تعاطف وهمسات ، وهكذا تصبح مهمة معرفة ما يجري أكثر تعقدا» (ص،111) ويبدو الشاعر يوسبي بييرا (بينيلوبا 1947) أشد التصاقا بالفضاءات المغربية، فله حولها نصوص كثيرة. وفي كتاباته يندغم النثر في الشعر لصالح الصورة التعبيرية المكثفة، ويغلب التلميح الإيحائي على السرد الكاشف، كما يتضح في الفقرة التالية: «من الممكن أن أكون في أية قرية من قرى بلدي، أو في جزيرة يونانية بيضاء، أو في صقلية، من دون شك. لكني في الواقع كنت هنا، ولم أكن تائها، في أحد أبواب جنوب المغرب.

قرأت على أحد الجدران إعلانا عن فيلم بالألوان عنوانه «مرحبا بكم في الجنة ». في مقدمة الملصق كان ثمة رجل وامرأة يتبادلان نظرة حب في لحظة قبلة الوداع. لم يلفت العرض الأول للفيلم انتباه أحد. بل لفت انتباهي أنا فقط. كنت أنظر مشدوها إلى إعلانات أخرى باهتة الألوان رسمت على خرق ممزقة. لم تكن تعني شيئا بالنسبة لأي أحد. لم يكن هناك نهر ولا أي مصدر للضوء، ولا شجر أخضر مرسوم على ذلك الجدار المطلي بالكلس» ص130 ـ 131. وبسخرية أنثوية تأملية ترصد الكاتبة أنخيلا بالبي شبكة من العلاقات والطوارئ الطريفة في نص بعنوان (تقاطع حضارات) تقابل فيه بلا رأفة ولا إشفاق مصطنع بين صورة المغربي محمد والاسباني والدها، تكتب: «محمد ليس مهاجرا. كان يعيش هنا قبل أن أولد بفترة طويلة. في ذلك الوقت لم يكن هناك مهاجرون بل مورو، كانوا يأتون للبحث عن عمل ويبقون حتى يجدوه. كان لمحمد وجه مورو مخيف ولكن له ابتسامة جميلة. لم يتزوج قط، وحسب والدي فقد كان يستطيع الزواج بعشرة نساء دفعة واحدة إذا أراد، لأن ديانته تسمح له بذلك. تخيل ـ قال والدي بتعبير يدل على إحساس بالقهر ـ هذا الوغد محمد الذي يستطيع أن يملأ بيته بالنساء إذا أراد. هو ذكي لدرجة أنه ليس لديه ولو واحدة. وأنا المسيحي الكاثوليكي المؤمن والأغبى من حبة بطاطس بيتي ممتلئ بهن... الحياة ليست عادلة، كيفما نظرنا إليها» (ص 138).

ومن أجل التعريف بهذا الكتاب الصادر باللغتين: العربية (145 ص) والاسبانية (167) عقدت مجموعة من اللقاءات في بعض المدن المغربية، واحتضن معهد ثربانطيس بفاس لقاء مفتوحا شارك فيه الممثل المسرحي «راوول باريخا رويدا » بعرض عام حول طبيعة العلاقات الثقافية المغربية الاسبانية والآفاق المحتملة لتطويرها وضرورة نسج حوار حضاري بين نخبتي البلدين تراعى فيه الخصوصيات والثوابت والمتغيرات، وقامت أنخيلا مونليون عن الجهة التي أشرفت على إصدار الكتاب بتسليط الضوء على خلفيات هذه الإصدارات وغيرها وعن مزايا التعاون الثقافي بين بلدين يجمع بينهما الجوار الجغرافي والتاريخ المشترك. وتلا الشاعر يوسيب بييرا بعضا من نصوصه المنشورة في هذا الكتاب بالاسبانية رتلها بالعربية كاتب هذه السطور. وفي أعقاب ذلك دار بين الحاضرين حوار مفتوح حول جملة من القضايا المتصلة بمحور اللقاء.

---

* شاعر من المغرب

ملحوظة:

رغم أنه لا ذكر في الكتاب لاسم المترجم أو المترجمين، إلا أنه يستفاد من تفاوت مستويات الصياغة العربية أن النصوص الاسبانية ترجمت على يد أكثر من مترجم، وأنها لم تخضع لمراجعة صارمة تقوم ما اعوج من تراكيبها وما تهلهل من تعابيرها وتقيها شر الاضطراب والركاكة واللحن ومطبة الخطأ. لأن العربية لا تستقيم ولا يشع بهاؤها بدون هذه الشروط الدنيا. وذلك ما نأمل أن يتحقق في الإصدارات المقبلة.

فضاءات فنية

العدد الثاني من مجلة «تشكيل مغربي»

الرباط ـ «القدس العربي» ـ من عبد الحق ميفراني

بصدور العدد الثاني من المجلة المغربية «تشكيل مغربي» تبدأ مسيرة رهان الاستمرارية، بعد إصدار الحضور الأول. «تشكيل مغربي» مجلة الفنون التشكيلية يديرها الأستاذ جمال الدين القشيري، وتضم هيئة تحريرها طاقما أعلن منذ العدد الأول عن هوية المجلة وخطها التحريري الراصد للفن التشكيلي، في المغرب، كفن وكسياق جمالي في علاقته بالبرامج التربوية وبالحياة المجتمعية. وهكذا تعيد عتبة العدد الثاني تصدير هذا الحس الجمالي من خلال التأكيد والإلحاح على «العناية بكل ما هو راق، جميل..» فالارتقاء بالذوق والنفس والعلاقات الإنسانية ارتقاء بالإنسان. في القسم العربي يعود الدكتور محمد زهير لرسم بورتريه خاص للتجربة التشكيلية لمحمد الصديق الراصفي على ضوء معرضه الأخير والذي اعتبره خلاصة تجربة صباغية لهذا الرسام المراكشي المبدع، ويعود د.محمد زهير في مادة ثانية بالمجلة الى رصد المكونات التشكيلية في الكتاب المدرسي كاحتياج أساسي في البرامج التربوية، وتقدم «تشكيل مغربي» رصداً لقاعات العرض التشكيلي بالمغرب والتي تمثل فضاءات للتسويق لكن يغيب فيها البعد الثقافي. في القسم الفرنسي نتابع مع التشكيلي عبدالغني أوبلحاج الدورة 13 للمهرجان الدولي لفن الفيديو الذي احتضنته مدينة الدارالبيضاء، أما مصطفى بودجافاد فيحاول الإجابة عن سؤال «فن لأي جمهور؟» د.عبد الغني أو بلحاج يعود لمتابعة الفن الإسلامي بالمغرب: من المرابطين الى 1912. حوار العدد الثاني من تشكيل مغربي استضاف الكاتب والمترجم والتشكيلي حسان بورقية على هامش معرضه الأخير بباب الرواح، أما جمال الدين القشيري فيتأمل كوابيس بيكاسو، ليختتم القسم الفرنسي بمتابعات لآخر المعارض التشكيلية المنظمة. عموما صدر عدد مجلة «تشكيل مغربي» لتأكيد رهان الحضور، لكن المجلة تحتاج لجهد مضاعف على مستوى المادة الفنية ولعلها مناسبة لإعادة تأكيد نداء المجلة المفتوح للدعم المادي والأدبي والفني.

«شرق» عمل جديد لمارسيل خليفة يقدم للمرة الاولى في ميلانو

باريس ـ من هدى ابراهيم:

يقدم الفنان اللبناني مارسيل خليفة للمرة الاولى على مسرح «بياسانزا» التاريخي في ميلانو عملا موسيقيا جديدا بعنوان «شرق» يقول انه «سيرة موسيقية» عمل عليها منذ فترة طويلة وستقدم للمرة الاولى. ويقول خليفة عن هذه «السيرة الموسيقية» التي ستقدم مع الاوركسترا الفيلهارمونية الايطالية بقيادة كارل مارتان في الاول من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل أنها «اداة تعبيرية كاملة» تتخطى الالحان الشرقية بقدرتها على التعبير عن اعمق المشاعر الانسانية بحيث لا تنتقل تلك الالحان عبر التاريخ كما هي بل تنمو وتتطور.

واوضح لوكالة فرانس برس في باريس «حاولت بعث روح جديدة في الموسيقى الشرقية تساعد على نقلها الى وسط الفن العالمي المستوحى من الروح المحلية» مضيفا «حاولت ان اصور الشرق بطريقة اصيلة وان اكون على صلة دائمة بموسيقى اليوم كي افهم حداثة موسيقى الماضي».

وهو يشبه هذه السيرة بـ «حكايات الف ليلة وليلة تتلاحق فيها الاحداث عبر الموسيقى وتنمو نموا عضويا متماسكا بحيث تكون النهايات ملتقى خطوطها جميعا وتنقل السامع من جو الى جو نحو ذروة تؤدي اليها العناصر المختلفة»..

وعن طبيعة هذا العمل يضيف الفنان «لم اقتصر في «شرق» على محاكاة الموسيقى الشعبية الشائعة عندنا وانما درست بكل دقة هيكل هذه الموسيقى الشرقية وطريقة ادائها بكل ما فيها من تطريب وصيحات ومن مواويل وآهات ومن هنا ربما تكون هذه الموسيقى اقرب الى الواقع الحي الذي خبرته عن كثب». وردا على سؤال لفرانس برس حول طبيعة العمل واذا ما كانت هناك اناشيد مرافقة له يوضح خليفة انه «ليس في العمل كلمات وانما رندحات وترنيمات وآهات وتأثيرات من مشرق العالم العربي ومغربه ومن الاندلس امتدادا الى الشرق الاقصى وصولا الى الهند، وكلها موحدة داخل العمل». ويشدد خليفة، الذي يؤكد «ما يهمني هو ان ابرز من خلال هذا العمل الحان الحياة لا الالحان الكلاسيكية»، على ان الشرق في موسيقاه يتضمن تأثيرات من الموسيقى العربية والفارسية والبيزنطية والتركية ثم الهندية وصولا الى الفكرة الصوفية كما فعل الحلاج وابن عربي.

حول هذه النقطة يؤكد «لقد جذبتني فكرة التوحد بالجمال المطلق واشعر اني ادنو من لغة هذه الحالة التي كانها تبتعد دائما وتبدو اشكالها عقلانية».

ويختم مارسيل خليفة بان كتابة هذا العمل نابع من شعور بانه «البديل المتاح لكي ادخل في الحب ولكي اقول همسة ما في هذا الظلام الدامس الذي يغرقنا».

ولتقديم العمل الجديد سيعتلي 200 شخص موزعين ما بين عازفين ومنشدين مسرح ميلانو بينما ستنقل قناة «الجزيرة مباشر» يوم الاربعاء المقبل الحفل على الهواء في الساعة 18,30 بتوقيت روما.

ومن المقرر لاحقا ان يخرج هذا العمل، الذي يقول مارسيل خليفة انه يهديه «الى اهلي في جنوب لبنان والى اهلي في فلسطين عله يكون لهذه الصرخة الموسيقية صدى في العالم"، في اسطوانة فيديو مدمجة واسطوانة صوتية. (ا ف ب)